

الباب الأول

في ظلال العهد المكي

obeikandi.com

مولد الرسول ﷺ

عن أبي قتادة الأنصاري : أن أعرابياً قال : يا رسول الله ، ما تقول في صوم يوم الإثنين ؟

فقال : « ذاك يومٌ ولدْتُ فيه ، وأنزل عليَّ فيه »^(١) .

* * *

ضبط العلماء مسألة يوم المولد الشريف ، فقال ابن إسحاق : ولد رسول الله ﷺ يوم الإثنين ، عام الفيل ، لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول^(٢) .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : عن أبي الحويرث قال : سمعت عبد الملك بن مروان يقول لقُبات بن أشيم الكناني ، ثم الليثي : يا قبات ! أنت أكبر أم رسول الله ﷺ ؟ قال : رسول الله ﷺ أكبر مني ، وأنا أسنُّ منه ، ولد رسول الله عام الفيل ، ووقفتُ بي أُمِّي على رَوْث الفيل محيلاً أعقله ، وتُنْبِئ رسول الله ﷺ على رأس أربعين^(٣) .

(١) صحيح مسلم : رقمه (١٩٧) ، مسند أحمد : ٢٩٩/٤ ، السنن الكبرى للبيهقي : ٣٩٣/٤ .

(٢) سيرة ابن هشام : ١٧١/١ ، سنن الترمذي : ٥٨٩/٤ .

(٣) البداية والنهاية : ٢٦٢/٢ .

ورحم الله القائل :

تجلّى مولد الهادي وعمّت
وأسدت للبرية بنت وهب
لقد ولدته وهّاجاً منيراً
فقام على سماء البيت نوراً
وضاعت يثرب الفيحاء مسكاً
فسلام الله عليك وصلواته في كل لحظة وعدد يارسول الله ، وإلى أن
يرث الله الأرض ومن عليها .

* * *

الرسول النور!!

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : (سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إني عبد الله وخاتم النبيين وأبي منجدر في طينته ، وسأخبركم عن ذلك ، أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة أخي عيسى ، ورؤيا أمي آمنة التي رأت ، وكذلك أمهات النبيين يرين » .

وإن أم رسول الله ﷺ ، رأت حين وضعته له نوراً أضاءت لها قصور الشام ، ثم تلا : ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ (٤٥) وداعياً إِلَى اللَّهِ يَذَنِّهِ وَسِرَاجاً مُنِيرًا ﴿ [الأحزاب : ٤٥-٤٦] (١) .

* * *

أخذ الله سبحانه وتعالى العهد على جميع الأنبياء والمرسلين ، أن إذا جاءكم رسول آخر الزمان أن تصدقوه وتعزروه وتتبعوا النور الذي جاء معه ، لذلك كان من دعاء الخليل إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ أَعَزُّزُ الْحَكِيمِ ﴿ [البقرة : ١٢٨-١٢٩] .

وهكذا بشر عيسى عليه السلام بنيينا محمد عليه الصلاة والسلام ، كما في القرآن الكريم : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا

(١) مستدرک الحاكم : ٤١٨/٢ ، دلائل البیهقي : ٨٠/١ ، مسند أحمد : ١٢٨/٤ .

بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ النُّورِ وَمُبَشِّرًا رَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَحَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿[الصف : ٦] .

أجل !

إنه الرسول النور ، الذي جاء لهداية البشر . قال تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة : ١٥-١٦] .

* * *

أحمد مكتوبٌ على اللسان!!

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : سمعت أبا طالب يحدث أن آمنة بنت وهب ، لما ولدت النبي ﷺ جاءه عبد المطلب ، فأخذه وقبله ، ثم دفعه إلى أبي طالب وقال : هو وديعتي عندك ، ليكوننّ لابني هذا شأن ، ثم أمر فنُحرت الجزائر ، وذُبِحت الشاء ، وأُطعم أهل مكة ثلاثاً ، ثم نحر في كل شعب من شعاب مكة جزوراً ، لا يُمنع منه إنسانٌ ولا سبع ولا طائر^(١) .

* * *

إنه فرح عبد المطلب بسيدنا رسول الله ﷺ ، وفي رواية أخرى : أن عبد المطلب ، حمله وأدخله في جوف الكعبة ، ثم قام يدعو الله ويتشكر لله تعالى ، الذي أعطاه إياه ، ثم راح ينشد :

الحمد لله الذي أعطاني	هذا الغلام الطيّب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان	أُعِيذُهُ بالبيت ذي الأركان
حتى يكون بُلْغَةَ الفتيان	حتى أراه بالغ البنيان
أُعِيذُهُ من كل ذي شأن	من حاسد مضطرب الجنان
ذي همّة ليس له عيان	حتى أراه رافع اللسان

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم : ١٧٣ / ١ .

أنت الذي سُمِّيتَ في الفرقان في كتب ثابتة المباني
أحمد مكتوبٌ على اللسان^(١)

أجل!

وكيف لا يفرح عبد المطلب بمولد رسول الله ، وهو الذي سمع من
أحبار اليهود وآخرين أنه سيولد نبي آخر الزمان ، وهو محمد صلوات الله
عليه .

ولذلك وقف العلماء طويلاً عند أفضلية ليلة المولد النبوي الشريف ،
من ذلك ما قاله العلامة أحمد محمد القسطلاني (ت : ٩٢٣ هـ) :
فإن قلت : إذا قلنا بأنه عليه الصلاة والسلام ولد ليلاً ، فأيهما
أفضل :

ليلة القدر ، أو ليلة مولده ﷺ ؟

أجيبُ : بأن ليلة مولده أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة :
أحدها : أن ليلة المولد ليلة ظهوره ﷺ ، وليلة القدر معطاة له ،
وما شرف بظهور ذات المشرف من أجله أشرف مما شرف بسبب
ما أعطيه ، ولا نزاع في ذلك ، فكانت ليلة المولد - بهذا الاعتبار -
أفضل .

الثاني : أن ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها ، وليلة المولد
شرفت بظهوره ﷺ فيها ، ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممن شرفت
بهم ليلة القدر ، على الأصح المرتضى ، فتكون ليلة المولد أفضل .
الثالث : أن ليلة القدر وقع التفضيل فيها على أمة محمد ﷺ ، وليلة

(١) البداية والنهاية : ٢/٢٦٥ ، طبقات ابن سعد : ١/١٧٥ ، دلائل البیهقي :
١١٢/١ .

المولد الشريف وقع التفضيل فيها على سائر الموجودات ، فهو الذي بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين ، فعمت به النعمة على جميع الخلائق ، فكانت ليلة المولد أعم نفعاً ، فكانت أفضل .

فيا شهراً ما أشرفه وأوفر حرمة لياليه ، كأنها لآلىء في العقود ، ويا وجهاً ما أشرفه من مولود ، فسبحان من جعل مولده للقلوب ربيعاً وحسنه بديعاً :

يقول لنا لسان الحال منه وقول الحق يعذب للسميع
فوجهي والزمان وشهر وضعي ربيع في ربيع في ربيع^(١)

* * *

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية : ١٤٦-١٤٧ .

obeikandi.com

العصمة حتى قبل الرسالة!!

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« ما هممتُ بما كان أهل الجاهلية يُهمّون به إلا مرتين من الدهر ، كلاهما يعصمني الله تعالىّ منهما ، قلتُ ليلةً لفتى كان معي من قريش ، في أعلى مكة : لي أغنام لأهلها ترعى ، أبصر لي غنمي حتى أسمعُ هذه الليلة بمكة كما تسمعُ الفتيان » ، قال : نعم ، « فخرجتُ فلما جئت أدنى دارٍ من دور مكة سمعتُ غناء وصوت دفوفٍ وزمر ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : فلانٌ تزوّج فلانةً لرجل من قريش تزوّج امرأةً ، فلهوتُ بذلك الغناء والصوت حتى غلبتني عيني فنمتُ فما أيقظني إلا مسُّ الشمس ، فرجعتُ فسمعتُ مثل ذلك ، فقبل لي مثل ما قيل لي ، فلهوتُ بما سمعت وغلبتني عيني فما أيقظني إلا مسُّ الشمس ، ثم رجعتُ إلى صاحبي ، فقال : ما فعلتَ ؟ فقلت : ما فعلتُ شيئاً » . قال رسول الله ﷺ : « فوالله ما هممتُ بعدها أبداً بسوءٍ مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله تعالىّ بنبوّته »^(١) .

* * *

وهذا من عظيم قدره ﷺ ، وعلوّ مكانته عند ربه عز وجل .

(١) مستدرک الحاكم : ٢٤٥ / ٤ ، دلائل البیهقي : ٣٣ / ٢ .

ذلك أن الله سبحانه كفله واصطنعه على عينه ، وأبعده عن كل مكروه ، وهذا الأمر كان قبل بعثته واستمر حتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، مصداق ذلك قول الله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة : ٦٧] .

وقوله أيضاً :

﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [٩٤] إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر : ٩٤-٩٦] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور : ٤٨] .
فصلوات الله وسلاماته على النبي المعصوم والرحمة للعالمين .

* * *

خوف الرسول من نسيان القرآن!!

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ لَا تَحْرُكَ بِهِ لِسَانُكَ ﴾ [القيامة : ١٦] قال :

كان النبي ﷺ يُعالج من التنزيل شدة ، وكان يحرك شفثيه ، فقال لي ابن عباس : أحركهما لك كما كان رسول الله يحركهما ، فقال سعيد : أنا أحركهما كما كان ابن عباس يحركهما ، فحرّك شفثيه فأنزل الله عز وجل :

﴿ لَا تَحْرُكَ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۚ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ [القيامة : ١٦-١٧] .

قال : جمعه في صدرك ثم تقرأه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، قال : فاستمع له وأنصت ، ثم إن علينا أن تقرأه ، قال : فكان رسول الله ﷺ إذا أتاه جبريل عليه السلام ، استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما أقرأه^(١) .

* * *

على الرغم من أن الله سبحانه وتعالى بيّن لحبيبه المصطفى ﷺ أنه هو وحده الحافظ للقرآن ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

(١) صحيح البخاري : ٢٤٠/٦ ، صحيح مسلم : ٣٣٠/١ ، سنن النسائي : ١٤٩/٢ .

على الرغم من ذلك ، فقد كان الرسول يخاف أن يتفلّت من القرآن ولو
كلمة واحدة!!

لأنها الأمانة والمسؤولية تجاه الوحي السماوي ، وليس ذلك أمراً
سهلاً ، إنما القضية كما قال تعالى :
﴿ إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ فَأَوْلًا فَقِيلَ ﴾ [المزمل : ٥] .

* * *

عالمية الرسالة الخاتمة!!

عن عبد الله بن ثابت قال : جاء عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ فقال :
يا رسول الله ، إني مررتُ بأخٍ لي من بني قريظة ، فكتب لي جوامع من
التوراة ألا أعرضها عليك ؟

قال : فتغيّر وجه رسول الله ﷺ ، قال عبد الله بن ثابت ، فقلت : ألا
ترى ما بوجه رسول الله ؟

فقال عمر : رضينا بالله تعالى رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ
رسولاً ، قال : فسُرِّي عن النبي ﷺ وقال : « والذي نفس محمد بيده لو
أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم ، إنكم حظي من
الأمم ، وأنا حظكم من النبيين » (١) .

* * *

أجل!

فكل نبيٍّ أُرسل إلى قومه خاصة ، بينما رسول الله ﷺ بُعث إلى الناس
كافة .

مصدق ذلك ما نقله الحاكم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال : خاطب الله نبيّه محمداً بقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا

(١) مسند أحمد : ٣/ ٣٨٧ ، دلائل النبوة لأبي نعيم : ١/ ٥٠ .

وَنَكِيرِكُمْ [سبا : ٢٨] فَأَرْسَلَهُ إِلَى الْجَنِّ وَالْإِنْسِ ^(١) .

ذلك لأن الله تعالى ختم بمحمد ﷺ الرسالات ، فكان الإسلام هو الدين الخاتم ، وكان الرسول خاتم النبيين والمرسلين .
مصدق ذلك ما رواه جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال : « أنا قائد المرسلين ولا فخر ، وأنا خاتم النبيين ولا فخر ، وأنا أول شافع ومشفع ولا فخر » ^(٢) ﷺ .

* * *

(١) مستدرک الحاکم : ٣٥٠/٢ ، دلائل البیهقي : ٤٨٧/٥ .

(٢) دلائل النبوة للبيهقي : ٤٨٠/٥ .

قمة الوفاء!!

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به ، أن جبريل عليه السلام ، أتى رسول الله ﷺ فقال : أقرئ خديجة السلام من ربها ، فقال رسول الله ﷺ : « يا خديجة هذا جبريل يُقرئك السلام من ربك » .
ف قالت خديجة : الله السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام^(١) .

* * *

إنها أول امرأة تدخل في دين الإسلام .
وكان لها الدور الكبير في مناصرة الدين وتثبيت فؤاد النبي ﷺ ،
والتخفيف عنه صلوات الله عليه .
لذلك وغيره نالت رتبة رفيعة ، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
عن النبي ﷺ قال : « خير نسائها مريم ، وخير نسائها خديجة »^(٢) .
وفي رواية أخرى : « حسبك من نساء العالمين : مريم ابنة عمران ،
وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسية امرأة فرعون »^(٣) .
والشيء الرائع أن رسول الله ﷺ عاش معها طيلة حياتها لم يتزوج
عليها ، حتى ماتت ، فتزوج كل نسائه من بعد موتها!

(١) سيرة ابن هشام : ٢٥٩/١ .

(٢) صحيح البخاري : ٤٧/٥ .

(٣) سنن الترمذي : رقمه (٣٨٧٨) .

بل إنه ﷺ كان يذكرها كثيراً - بعد موتها - مما جعل عائشة رضي الله عنها تغار منها!!

فعن عائشة قالت : كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء ، قالت : فغرتُ يوماً فقلت : ما أكثر ما تذكرها حمراء الشّدق ، قد أبدلك الله بها خيراً منها ، قال : « ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها ، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وصدّقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بماله إذ حرمني الناس ، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء »^(١) .

* * *

(١) مسند أحمد : ١١٧/٦ .

لا مساومة في قضايا العقيدة!!

عن ابن عباس أن قريشاً وعدوا رسول الله ﷺ أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة ، ويزوجوه ما أراد من النساء ، ويطؤوا عقبه . فقالوا : هذا لك عندنا يا محمد ، وكفّ عن شتم آلهتنا فلا تذكرها بسوء ، فإن لم تفعل فإننا نعرض عليك خصلة واحدة فهي لك ولنا فيها صلاح ، قال : « ما هي ؟ » .

قالوا : تعبد آلهتنا سنة ، اللات والعزى ، ونعبد إلهك سنة ، قال : « حتى أنظر ما يأتي من عند ربي ! » ، فجاء الوحي من اللوح المحفوظ : ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُوتُ ۖ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۖ ۝٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۖ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۖ ۝٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۖ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۖ ۝٦ ﴾ [الكافرون : ٦-١] .

وأنزل الله عز وجل : ﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ تَأْمُرَوتِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ۖ ۝١٤ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۖ ۝١٥ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۖ ۝١٦ ﴾ [الزمر : ٦٤-٦٦] « (١) » .

* * *

شيء عجيب!!

فالرسول ﷺ يريد إنقاذهم مما هم فيه ، وهو بذلك لا يطلب مالا ،

(١) عيون الأثر لابن سيد الناس : ١٠٦/١ ، تاريخ الطبري : ٣٣٧/٢ .

ولا يبتغي زعامة ، ولا يريد جاهاً ولا ملكاً ، إنما يريد منهم « قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » .

أما هم ، فإنهم يساومونه على عقيدة التوحيد ، يقدمون له الأموال الطائلة ، ويغرونه بالزعامات الدنيوية ، وتارة يعذبونه وأصحابه ، وتارة يطلقون بناته ، وصدق القائل : أريد حياته ويريد موتي .

لكن القضية محسومة ، فلا مجاملات ولا مساومات ولا أنصاف حلول ، إنما المسألة في العقيدة : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون : ٦] .

* * *

إنه الثبات!!

كان ورقة بن نوفل يمرُّ ببلال بن رباح وهو يُعذَّب - حيث كان أمية بن خلف يخرجهُ إذا حميت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة ، فتوضع على صدره... - وهو يقول : أحدٌ أحدٌ ، فيقول : أحدٌ أحدٌ والله يا بلال ، ثم يقبل على أمية بن خلف ومن يصنع ذلك به من بني جُمح فيقول : أحلف بالله لئن قتلتُموه على هذا لأتخذنه حناناً^(١) ، حتى أعتقه أبو بكر الصديق^(٢) .

* * *

أجل!

لقد ثبت الرعيل الأول على المبدأ ثباتاً لم يعرف التاريخ مثله ، حتى أن الكثيرين منهم قد ماتوا تحت لهيب الشياطين ، وقد سطروا صفحات خالدة في تاريخ النضال وحب الشهادة ، من ذلكم على سبيل المثال لا الحصر :

كان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه - وكانوا أهل بيت إسلام - إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة ، فيمرّ بهم رسول الله ﷺ فيقول : « صبراً آل ياسر موعدكم الجنة » .

(١) أي : ليجعلن قبره موضع رحمة يتمسح الناس به ويتبركون .

(٢) مستدرك الحاكم : ٢٨٣/٣ ، وسيرة ابن هشام : ٣٣٩/١ .

فأما أمه فقتلوها - قتلها أبو جهل - وهي تأبى إلا الإسلام^(١) .
وأما عمار فقد أحرقوه بالنار ، ولما مرَّ الرسول ﷺ به ورأى شدة
العذاب اقترب منه ومسح رأسه بيده الشريفة وهو يقول : « يا نار كونى
برداً وسلاماً على عمار كما كنت على إبراهيم ، تقتلك الفئة الباغية »^(٢) .
لذلك كله ، نصرهم الله وأعلى قدرهم في الدنيا والآخرة ، وكانوا
بحق نواة المجتمع الإسلامي ، حيث قدّموا الغالي والنفيس في سبيل رفعة
هذا الدين .

* * *

(١) سيرة ابن هشام : ٣٤٢/١ ، دلائل البیهقي : ٢٨٢/٢ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد : ٢٤٨/٣ .

استهزاء المشركين بالرسول!!

(... ومشي أبي بن خلف إلى رسول الله ﷺ بعظم بالٍ قد ازفتت :
(انكسر) فقال : يا محمد ، أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرمم ، ثم
فتنه بيده ، ثم نفخه في الريح نحو رسول الله ، فقال رسول الله : « نعم ،
أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ، ثم يدخلك الله
النار » .

فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعْزِي الْعِظَمَ وَهِيَ
رَمِيمٌ ۖ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ
لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مُتُّوقِدُونَ ﴾ [يس : ٧٨-٨٠] (١) .

* * *

فرسول الله ﷺ عذَّب من قبل المشركين ، واستهزى به ، وأوذي
أكثر مما أوذي صحابته ، وهذا دليل واضح على القدوة والأسوة ، فهو لم
يقبل لهم انطلقوا إلى حمل لواء الدعوة ، ثم أخلد إلى القصور والحدائق
والجواني و...!!

أبدأ ، إنما كان ﷺ يسير أمامهم أو معهم ، في السلم والحرب ، في
الشدة والرخاء ، وصدق الله تعالى بقوله :
﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

(١) سيرة ابن هشام : ٣٨٥ / ١ .

لذلك تحدثنا السيرة الطاهرة : أن أبا لهب وامرأته أم جميل كانا يلقيان في طريقه الشوك والحطب وما إلى هنالك!! فأنزل الله تعالى سورة المسد .

وأن أمية بن خلف كان إذا رأى رسول الله همزه ولمزه!! فأنزل الله تعالى سورة الهمزة .

وأن أبا جهل كان يستهزئ بما جاء به رسول الله!!

وأما العاص بن وائل ، لما سمع بموت القاسم وعبد الله ابني رسول الله ﷺ راح ينادي أمام الناس : يا محمد ، إنك أنت الأبتَر ، فردَّ الله عليه ووبخه بقوله : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۚ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝ ﴾ [الكوثر : ١-٣] فصلِّ الله عليه وسلم .

* * *

الأسوة هو رسول الله!!

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حَدَّثَ أن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة - أي أن الرسول يسفّه أحلامهم ويعيب آلهتهم ويشتم آباءهم - بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له : يا بن أخي ، إن قومك قد جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا ، للذي كانوا قالوا له ، فأبقي عليّ وعلى نفسك ، ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق ، قال : فظنّ رسول الله أنه قد بدا لعمه فيه بداءٌ ، وأنه خاذله ومُسلّمُهُ ، وأنه قد ضَعُفَ عن نصرته والقيام معه .

قال : فقال رسول الله ﷺ : « يا عم ! والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » .

قال : ثم استعبر رسول الله فبكى ، ثم قام ، فلما ولى ناداه أبو طالب فقال : اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً^(١) .

* * *

فذاك أبي وأمي يارسول الله ، وأنت في مكة حيث العذاب والاستهزاء والسخرية ، وأنت من هناك تعلّم الأجيال الثبات على الحق - ومهما

(١) سيرة ابن هشام : ٢٧٧/١ ، دلائل البيهقي : ١٨٧/٢ ، عيون الأثر : ٩٩/١ .

حدث - فلا تراجع ولا نفاق ، إنما هو الثبات والتمكين .
فمهما حاولوا من وضع إغراءات في الطريق ، فإن القضية أحد
أمرين : إما الهلاك في سبيل الحق ، وإما نصرته الحق وإظهاره .
أجل يا رسول الله ! « فلو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري »
لن أزيح عن الحق قيد أنملة .
فصلي الله عليك وسلم يا أسوة الأجيال وقدوتهم إلى يوم الدين .

* * *

إنه الرؤوف الرحيم!!

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قالت قريش للنبي ﷺ : ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك ، قال : وت فعلون ؟ قالوا : نعم ، قال : فدعا ، فأتاه جبريل فقال : إن ربك عز وجل يقرأ عليك السلام ، ويقول : إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً ، فمن كفر بعد ذلك منهم عذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ، وإن شئت فتحتُ لهم باب التوبة والرحمة .

قال : « بل باب التوبة والرحمة »^(١) .

* * *

شَتَان بين من يطلب الدنيا وبين من يطلب الله تعالى!!
إن قريشاً اجتمعت وجاءت إلى رسول الله ﷺ تفاوضه وتحاوره :
تزعّم أنك نبيّ يوحى إليك ، وأن سليمان سُحّر له الريح والجبال ،
وأن موسى سُحّر له البحر ، وأن عيسى كان يحيي الموتى ، فادع الله أن
يسيرَ عنا هذه الجبال ، ويفجّر لنا أنهاراً ، فنتخذها محارث فنزرع
ونأكل ، وإلا فادع الله أن يحيي لنا موتانا ، وإلا فادع الله أن يصيرَ هذه
الصخرة التي تحتك ذهباً فننحت منها وتغينا عن رحلة الشتاء والصيف ،
فإنك تزعّم أنك مثلهم!!

(١) مسند أحمد : ٢٤٢/١ ، دلائل البهقي : ٨/٩ .

إنها قضايا تدور حول المأكل والمشرب والأموال والمزارع والذهب ، هذه هي الغاية من حياة أولئكم الكفرة .

أما الرسول ﷺ فكان يخاف عليهم شيئاً آخر ، إنه يخاف أن يدعو الله بذلك ، فيستجيب له ، ثم يكفروا به ، فيعاقبهم كما عاقب الأمم السابقة من قبل ، وكان يريد لهم أن يلجوا من باب التوبة والرحمة ، فهذه غاية أرقى وأسمى وأعلى ، وصدق الله تعالى وهو يصف الرسول بقوله : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

* * *

كلمة واحدة!!

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (مرض أبو طالب فجاءته قريش وجاءه النبي ﷺ وعند أبي طالب مجلس رجل ، فقام أبو جهل كي يمنعه ، وشكوه إلى أبي طالب فقال : يا بن أخي ما تريد من قومك ؟ قال : « إني أريد منهم كلمة واحدة تدين لهم بها العرب ، وتؤدي إليهم العجم الجزية » ، قال : كلمة واحدة ؟

قال : « كلمة واحدة » ، قال : « يا عم يقولوا : لا إله إلا الله » . فقالوا : إلهاً واحداً ؟ ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق .

فنزل فيهم قول الله تعالى : ﴿ صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۚ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقِي ۚ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَحِثْ مَنَاصِ ۚ وَجَعَلُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ۚ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۚ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۚ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ﴾ [ص : ١-٧] (١) .

* * *

قبيل وفاة عم النبي ﷺ أبي طالب تنادى زعماء قريش وحضروا إليه يريدون حلاً كاملاً للخلاف مع رسول الله ﷺ .

(١) سنن الترمذي : ٣٦٥/٥ .

ودخل الرسول على عمه ، فوجد القوم عنده ، فسأله عمه عن القضية الرئيسية التي يريدونها من قومه .

فلخص الرسول المسألة بكلمة واحدة ، هي التي تميّز بين الإيمان والكفر ، وبها يصبح الرجل مؤمناً ، وبإنكارها يخرج الرجل إلى ملة الكفر ، وهي كلمة التوحيد .

وهي الكلمة التي حملها كل أنبياء الله ورسله ، إنها شعار الموحدين وإلى يوم الدين : لا إله إلا الله .

* * *

إلى من تكلني ؟!

عن عبد الله بن جعفر قال : لما توفي أبو طالب خرج النبي ﷺ إلى الطائف ماشياً على قدميه يدعوهم إلى الإسلام ، فلم يجيبوه ، فانصرف فأتى ظلَّ شجرة فصلَّى ركعتين ثم قال :

« اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وهواني على الناس أرحم الراحمين ، أنت أرحم الراحمين إلى من تكلني ؟ إلى عدوِّ يتجهمني أم إلى قريبٍ ملكته أمري ؟ إن لم تكن غضبان عليَّ فلا أبالي ، غير أن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بوجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن ينزل بي غضبك أو يحلَّ بي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » (١) .

* * *

بعد وفاة عمِّ النبي ﷺ أبي طالب ، ووفاته زوجته السيدة خديجة الكبرى رضي الله عنها اللذين كانا أكبر نصيرين له . .

بعد ذلك اشتد أذى المشركين للرسول والصحب الضعاف ، حتى اضطر إلى مغادرة مكة إلى الطائف ، ملتمساً النصرة من بني ثقيف ، آملاً أن يجد لديهم الآذان الصاغية للدعوة إلى الله تعالى .

لكنَّ أهل الطائف لم يكونوا أحسن حالاً من أهل مكة!! فكذبوه ،

(١) مجمع الزوائد للهيتمي : ٣٥/٦ .

واستهزؤوا به ، وعاندوا وكابروا ، وسلطوا عليه غلمانهم وعبيدهم
وسفهاءهم ، فرموه بالحجارة حتى أدميت قدماء الشريفتان ، ثم طردوه
شرَّ طردة ، فأسند ظهره إلى حائط بستان ورفع تقريره إلى الله تعالى ،
وهو يؤكد فيه أن المشكلة لا تتعلق بطرده و... ، إنما يريد رضا ربه
فقط ، وبعدها فليكن ما يكن ، وهذا الثبات لم يعرف مثله التاريخ من قبل
ولا من بعد .

أجل ! فهو الرسول المصطفى ﷺ .

* * *

﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : لما أُسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدث الناس بذلك ، فارتدَّ ناس ممن كانوا آمنوا به وصدَّقوه ، وسَعَوْا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه ، فقالوا : هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس ، قال : أو قال ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : لئن كان قال ذلك لقد صدق .

قالوا : أوتصدَّقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟ قال : نعم إني لأُصدِّقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدِّقه بخبر السماء في غداة أو روحة ، فلذلك سُمِّي أبو بكر الصديق^(١) .

* * *

هنيئاً لك يا صديق !!

فكم كنت مقرباً إلى قلب الحبيب المصطفى ﷺ ؟

ويكيفك فخراً أنك الموصوف في القرآن : بصاحب رسول الله ، وذلك في رحلة الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، قال الله تعالى : ﴿لَا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْفَكَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ

(١) مستدرک الحاكم : ٦٢/٣ ، دلائل البیهقي : ٣٦١/٢ .

سَكِينَتُهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ
كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

[التوبة : ٤٠] .

وكان لا يفارق النبي ﷺ في كل الأحوال ، وأكرمه الله بأن جعل النبي
صهره أيضاً ، وزاد في ذلك بأن جعله الخليفة من بعده ، وزاد في ذلك بأن
جعله في جوار رسول الله في القبر .

كل ذلك لأنه باع نفسه لله وصدق الرسالة والرسول ، فكان القدوة
والأسوة في ذلك^(١) .

* * *

(١) للتوسع يراجع كتاب : الأسوة والقدوة في القرآن والسنة ، للمؤلف : ٦٧-١٠٩ .

حُبُّ الوطن!!

عن عبد الله بن عدي بن حمراء الزهري قال : رأيت رسول الله ﷺ واقفاً على الحزورة^(١) فقال : « والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت »^(٢) .

* * *

إنه لأمر صعب حقاً!!

بعد مضي (٥٣) سنة من عمر رسول الله ﷺ ، يُطرد من بلده مكة ، والتي أحبها وعاش فيها ذكريات طفولته وشبابه ، بين أهله وأحابه ، لكن وهو يودّعها أثناء رحلة الهجرة إلى المدينة المنورة ، لم ينكر جميلها ولم تغلبه فكرة الثأر من أهلها ، إنما نظر إليها مودعاً حزيناً ليقول لها : « والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله » كيف لا ؟

وفيها الحرم الشريف ، حيث الذكريات الجميلة : فهناك الكعبة التي بناها خليل الرحمن وابنه إسماعيل ، وهناك بئر زمزم المبارك ، وهناك الصفا والمروة ، وهناك جبل الرحمة في عرفة . . .

والرسول صبر على الأذى واحتمل ، واستشهد بعض صحابته تحت التعذيب ، ولم يترك باباً من أبواب الدعوة إلا وطرقه ، لكن دون جدوى .

(١) سوق في مكة يقع إلى جانب الحرم .

(٢) سنن الترمذي : رقمه (٣٩٢٥) ، سنن ابن ماجه : رقمه (٣١٠٨) .

إذاً : لا بد من الهجرة إلى مكان آخر .
فما كان منه صلوات الله عليه إلا أن دعا لأهلها بالخير!! وكيف ذلك
يارسول الله ؟ وهم قد فعلوا بك الأعاجيب ؟
« اللهم إنك أذقت أولهم وبالأ ، فأذق آخرهم نوالاً »^(١) .
إنه درس عظيم من دروس سيرة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام
وهو : حب الوطن من الإيمان .

* * *

(١) عيون الأثر : ١/١٨١ ، مجمع الزوائد : ٣/٢٨٣ .

عنكبوت وحماتان!!

عن أبي مصعب المكي قال : أدركت أنس بن مالك ، وزيد بن أرقم ، والمغيرة بن شعبة ، فسمعتهم يتحدثون : أن النبي ﷺ ليلة الغار ، أمر الله عز وجل بشجرة فنبتت في وجه النبي فسترته ، وأمر الله العنكبوت فنسجت في وجه النبي فسترته ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقفتا بضم الغار ، وأقبل فتيان قريش من كل بطن رجل ، بعصيهم وهراويهم وسيوفهم ، حتى إذا كانوا من النبي ﷺ بقدر أربعين ذراعاً ، فجعل رجل منهم لينظر في الغار فرأى حمامتين بضم الغار ، فرجع إلى أصحابه فقالوا له : ما لك لم تنظر في الغار ؟ فقال : رأيت حمامتين بضم الغار ، فعلمت أنه ليس فيه أحد ، فسمع النبي ﷺ ما قال ، فعلم أن الله عز وجل قد درأ عنه بهما ، فدعاهنَّ النبي ﷺ فسَمَتَ^(١) عليهنَّ ، وفرض جزاؤهنَّ ، وانحدرن في الحرَم^(٢) .

* * *

قرر الله تعالى في القرآن الكريم أن لا أحد يعرف كيفية حفظ الله لمن شاء من عباده ، فقال تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدرثر : ٣١] .

وهذا مثال واضح ، حيث أعلنت قريش عن جائزة كبرى لمن يأتي

(١) أي : دعا الله تعالى لهنَّ بالبركة .

(٢) دلائل البيهقي : ٤٨٢/٢ ، طبقات ابن سعد : ٢٢٩/١ .

برأس رسول الله ﷺ حياً أو ميتاً ، وآل الحال بالرسول وصاحبه أن يدخلوا
الغار ، وتفرّق الشباب والفرسان في الوديان والسهول للتفتيش عنهما
عسى أن يحصلوا على الجائزة!!

لكن الله لم يرسل لهما طائرات الأواكس لتراقب الطريق ، ولم يبعث
إليهما طائرات أسرع من الصوت ولا...!! إنما حمامة باضت وعنكبوت
نسج!!

وإذا العناية لاحظتك عيونها نَمَ ، فالمخاوف كلهنّ أمان
وكانت المكافأة لتلك الحمامتين ، أن حرّم الله صيدهما وصيد نسلهما
حتى يوم القيامة ، وكل حمام الحرم الموجود اليوم هو من نسلهما .

* * *

إن الله معنا!!

عن عروة بن الزبير : (أن مشركي مكة ركبوا في كل وجه يطلبون النبي ﷺ - في حادثة الهجرة - وبعثوا إلى أهل المياه يأمرؤنهم ويجعلون لهم الجُعل العظيم ، وأتوا على ثور ، الجبل الذي فيه الغار الذي فيه النبي حتى طلَعوا فوقه ، وسمع رسول الله ﷺ وأبو بكر أصواتهم ، فأشفق أبو بكر وأقبل عليه الهم والخوف ، وقال للرسول : لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا .

فقال الرسول ﷺ : « ما ظنُّك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما » ، ثم قال : « لا تحزن إن الله معنا » ، ودعا رسول الله ﷺ فنزلت عليه سَكِينَةٌ من الله : ﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٤٠] (١) .

* * *

ورحم الله الإمام البوصيري حيث قال :

أقسمتُ بالقمر المنشقَّ أن له من قلبه نسبةً مبرورة القسم
وما حوى الغار من خيرٍ ومن كرمٍ وكلُّ طرفٍ من الكفار عنه عمٍ

(١) للتوسع يراجع : صحيح البخاري : ٨٣/٥ ، مسند أحمد : ٨٤٨/١ ، دلائل البيهقي : ٤٧٨/٢ .

فَالصَّدْقُ فِي الْغَارِ وَالصَّدِيقُ لَمْ يَرِدَا وَهُمْ يَقُولُونَ مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرَمِ
ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسَجْ وَلَمْ تَحُمِ
وَقَايَةَ اللَّهِ أَغْنَتْ عَنْ مِضَاعَفَةٍ مِنَ الدَّرْعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الْأَطَمِ

وَمَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ فَهَلْ يَخَافُ مِنْ شَيْءٍ فِي هَذَا الْوُجُودِ ؟!

وَمَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ هَلْ يَخَافُ مِنْ مَسْأَلَةِ الرِّزْقِ ؟!

أَبَدًا ، فَالْمَعِيَّةُ هُنَا لَيْسَتْ مَعِيَّةَ بَشَرٍ يَمُوتُونَ ، إِنَّمَا هِيَ مَعِيَّةُ الْحَيِّ
الْبَاقِي الَّذِي لَا يَمُوتُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، لَكِنْ لَيْسَ كُلُّ وَاحِدٍ يَنَالُ هَذِهِ
الرَّتَبَةَ وَأَمْثَالَهَا .

فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ مَعِيَّةُ اللَّهِ لِحَبِيبِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ؟!

* * *

حقاً : إنه الصادق الأمين!!

قال ابن إسحاق : ولم يعلم ، فيما بلغني ، بخروج رسول الله ﷺ أحدٌ حين خرج إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر .
أما عليّ فإن رسول الله ﷺ أخبره بخروجه ، وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس ، وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحدٌ عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده ، لما يعلم من صدقه وأمانته ﷺ!!^(١) .

* * *

حقاً إنه لأمر عجب!!

هم يكذبونه ويستهزئون به ويقولون عنه - أي : أهل مكة - إنه كذاب ومخادع ، وفي المقابل يجعلون من بيته مستودعاً للأمانات ، يضعون فيه كل ما لديهم من الجواهر والأموال الثمينة وما إلى هنالك!!
بل إنهم يطلقون عليه (الصادق الأمين) ، فكيف يكون صادقاً في بعض الأمور الدنيوية ولا يكون صادقاً في تبليغ الدعوة إلى الله تعالى ؟
وهل يمكن أن يكون في الوقت نفسه صادقاً وكذاباً ؟!
كذلك فهم يطلقون عليه صفة الأمين ، ويقومون بذلك فعلياً ، فهل

(١) سيرة ابن هشام : ٩٨/٢ ، سنن البيهقي : ٢٩٦ ، تاريخ الطبري : ٣٧٨/٢ .

يمكن أن يكون أميناً على أمور دنيوية ، ويكون في الوقت نفسه خائناً وغير أمين ؟

لكن المسألة كما قال تعالى :

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتُوا لِلَّهِ
يُحَادِّثُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٣] .

* * *

ربح البيع!!

قال أبو عثمان النهدي : بلغني أن صهيباً حين أراد الهجرة ، قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكاً حقيراً فكثُر مالك عندنا ، وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك!! والله لا يكون ذلك .

فقال لهم صهيب : أرايتم إن جعلتُ لكم مالي أتخلُّون سبيلي ؟ قالوا : نعم .

قال : فإني جعلتُ لكم مالي وهو تحت أسكفة الباب في البيت . فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال : « ربح البيع أبا يحيى ، ربح البيع »^(١) .

وفيه أنزل الله تعالى قوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [البقرة : ٢٠٧] .

* * *

صفقة رابحة ، البائع فيها هو الله سبحانه وتعالى ، والسلعة فيها هي جنة الله ، والمشتري فيها هو المؤمن التقي الورع .

فمن أراد الفوز برضوان الله سبحانه ، والدخول في نعيم جنانه ،

(١) طبقات ابن سعد : ٢٢٦/٣ ، سيرة ابن هشام : ٨٩/٢ ، مستدرک الحاكم :

٣٣٩/٣ ، مجمع الزوائد : ٦٠/٦ ، دلائل البیهقي : ٥٢٢/٢ .

والتمتع بالنظر إلى نور وجه ربه سبحانه ، فعليه أن يقدم الثمن .
لكن المشكلة هنا أن ثمن الجنة غالٍ ، وذلك إما أن يضحي المؤمن
بماله في سبيل الله ، أو يقدم روحه فداءً للدعوة في سبيل الله .
فإن فعل نال السلعة ، وإلا فليست الجنان بالأحلام والآمال
والتمني .

فرضي الله عن الصحابي صهيب ، حينما قدم كل ماله ثمن هذه السلعة
الغالية ، وهي الجنة ، فبشره الله ورسوله بذلك الفوز العظيم .

* * *

طلع البدر علينا!!

عن ابن عائشة قال : لما قدم عليه السلام المدينة جعل النساء والصبيان يقلن^(١) :

طلع البدر علينا	من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا	مادعنا الله داع
أيها المبعوث فينا	جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت العوالم	مرحباً يا خير داع

* * *

لما وصل خبر خروج النبي ﷺ من مكة إلى المدينة ، راح المسلمون في المدينة المنورة يخرجون كل يوم بعد صلاة الصبح وحتى منتصف النهار .

وكانوا ينتظرون النبي المنقذ على أحرّ من الجمر ، حتى إذا ما وصل مع صاحبه أبي بكر ، كان أول من رآهما رجل من اليهود ، فصرخ بأعلى صوته : يا أهل الأوس والخزرج ، هذا جدّكم قد جاء!

وهرع الجميع إلى الشوارع وإلى خارج المدينة المنورة لتكتحل عيونهم برؤية الحبيب الذي طال انتظاره ، فلما رأوه ﷺ أطلقوا شعارات وأهازيج فيها الترحاب والاحتفاء والشوق ، من ذلك :

(١) فتح الباري : ١٢٩/٨ ، دلائل البهقي : ٢٦٦/٥ .

جاء نبي الله ، جاء نبي الله! يا محمد ، يا رسول الله! الله أكبر ، جاء
محمد رسول الله!

وفيهما هذه الأنشودة التي يحفظها غالبية المسلمين ، ويرددونها في
أفراحهم ومناسباتهم ، وخاصة الدينية منها وهي : طلع البدر علينا . . .
بل روى الإمام أحمد بالسند المتصل إلى أنس رضي الله عنه قال : لما
قدم النبي ﷺ المدينة لعبت الحبشة لقدمه بحراهم فرحاً بذلك^(١) .
وَحُقَّ لَهُمْ ذَلِكَ ، أما نحن : فيا ليتنا كنا معهم فنفوز فوزاً عظيماً!

* * *

(١) المسند : ٢٢٢/٣ .

يا حبذا محمدٌ من جَار!!

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فلما دخل المدينة جاءت الأنصار برجالها ونسائها ، فقالوا : إلينا يارسول الله ، فقال : « دعوا الناقة فإنها مأمورة » .

فبركت على باب أبي أيوب ، قال : فخرجت جوار من بني النجار يضربن بالدفوف وهنَّ يقلن :

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمدٌ من جَار
فخرج إليهم رسول الله ﷺ ، فقال : « أتحبوني ؟ » فقالوا : أي والله يارسول الله ، فقال : « أنا والله أحبكم ، وأنا والله أحبكم ، وأنا والله أحبكم »^(١) .

* * *

إنه القدوة والأسوة محمد ﷺ .

وهو الرحمة للعالمين ، وهذا نموذج رائع للعيشة التي كان يعيشها رسول الله ، فهو لم يدخل إلى المدينة المنورة بموكب إمبراطوري ، إنما دخل ماشياً ومعه أبو بكر الصديق ، فلما خرج الجميع لاستقباله ، وكان معهن بعض الفتيات وهنَّ يضربن بالدفوف ، فاستقبلهن الرسول بكل

(١) صحيح البخاري : ٤٠/٥ ، دلائل البيهقي : ٥٠٨/٢ ، سنن ابن ماجه : ٦١٢/١ .

بشاشة وجه ورحابة صدر ، وحاول عليه الصلاة والسلام أن يتحدث معهنَّ بكل لطف ، فسألهنَّ : « أتحبوني ؟ » .

فأجبنه : نعم يا رسول الله ، فبيَّن لهنَّ مقدار حبه لهن ، وذلك حين أكَّد ثلاث مرات بقوله : « أنا والله أحبكم » .

وصدق الله تعالى بقوله : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ [الفتح : ٢٩] فهو معهم في كل أمورهم ، معهم لا قبلهم ، معهم لا وراءهم ، معهم لا فوقهم ، فصلوات الله عليه وسلامه .

* * *

ما هو أشدُّ يومٍ على النبي ؟!

عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ حدثته : أنها قالت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، هل أتى عليك يوم كان أشدَّ من يوم أحدٍ ؟ فقال : « لقد لقيت من قومك وكان أشدُّ ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يُجِبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهمومٌ على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب^(١) ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبرئيل فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم .

قال : فناداني ملك الجبال وسلَّم ثم قال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت ؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين^(٢) .

فقال له رسول الله ﷺ : « بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً^(٣) » .

* * *

(١) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان (٦٥ / ٧) : هي ميقات أهل نجد تلقاء مكة .

(٢) الأخشبان : جبلان حول مكة ، أحدهما أبو قبيس ، والآخر قعيقعان .

(٣) صحيح البخاري : ١٣٩ / ٤ ، صحيح مسلم : ١٤٢٠ / ٣ ، شرح السنة للبغوي : رقمه (٣٧٤٧) .

وهذا نموذج آخر مما لاقاه النبي ﷺ من أذى قريش واستهزائهم به وما إلى هنالك .

إنه صلوات الله عليه يدعوهم إلى الهداية والخير ، ولكنهم يعاندون ويريدون منه العودة إلى الأصنام والأزلام والخمر و...!! (أريد حياته ويريد موتي) .

فخرج النبي مهموماً حزيناً ، فجاءه ملك الجبال يستأذنه في أن يطبق عليهم الجبلين ، لكن نبي الرحمة كان يريد لهم الهداية .
وإلا فما الفائدة من أن يعذب الله قومه ؟!

* * *

رفعة مكانة النبي عند ربه!!

في القرآن الكريم نرى أمراً عجباً!

فعندما يخاطب الله تعالى الأنبياء السابقين ، يكون النداء بالأسماء فقط ، مثال ذلك قوله تعالى مخاطباً آدم عليه السلام : ﴿ وَقُلْنَا يٰٓآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [البقرة : ٣٥] .

وعندما يكون الخطاب إلى نوح عليه السلام ، يقول الله تعالى : ﴿ يٰٓنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ ﴾ [هود : ٤٨] .

وعندما يكون الخطاب موجهاً إلى موسى عليه السلام ، يقول الله تعالى : ﴿ يٰٓمُوسَىٰ إِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [القصص : ٣٠] .

وعندما يكون الخطاب موجهاً إلى خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ، يقول الله تعالى : ﴿ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يٰٓإِبْرَاهِيمُ ۖ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٤-١٠٥] .

وهكذا في كل خطاب إلهي موجه لنبيٍّ من الأنبياء عليهم السلام .

لكن من عظيم قدره ، ورفعة مكانته ﷺ عند ربه سبحانه وتعالى ، أن الله لم يناده باسمه ، ولم يخاطبه بشخصه ، إنما كان يخاطبه بالنبوة أو الرسالة ، مصداق ذلك قول الله تعالى :

﴿ يٰٓأَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾

[المائدة : ٤١] .

وقوله أيضاً : ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[الأنفال : ٦٤] .

فالصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين ، وخاصة خاتمهم
عليه أفضل الصلاة والسلام .

* * *

شرف نسبه ﷺ

قال القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت : ٥٤٤ هـ) رحمه الله تعالى :

... وأما شرف نسبه ﷺ وكرم بلده ومنشئه ، فمما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه ، ولا بيان مُشكل ولا خفيّ منه ، فإنه نخبة بني هاشم ، وسلالة قريش وصميمها ، وأشرف العرب ، وأعزهم نفراً من قبل أبيه وأمه ، ومن أهل مكة من أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً ، حتى كنتُ من القرن الذي كنت منه »^(١) .

وعن العباس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ :

« إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم ، من خير فرقتهم ، ثم تخيّر القبائل فجعلني من خير قبيلة ، ثم تخيّر البيوت فجعلني من خير بيوتهم ، فأنا خيرهم نفساً ، وخيرهم بيتاً »^(٢) .

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من ولد

(١) صحيح البخاري : ٢٢٩/٤ .

(٢) سنن الترمذي : ٥٨٤/٥ .

إسماعيل بن كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم» (١) .

وعن ابن عمر رضي الله عنه - فيما رواه الطبري - أن النبي ﷺ قال : « إن الله اختار خلقه ، فاختار منهم بني آدم ، ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب ، ثم اختار من العرب فاختار منهم قريشاً ، ثم اختار قريشاً فاختار منهم بني هاشم ، ثم اختار بني هاشم فاختارني منهم ، فلم أزل خياراً من خيار ، ألا من أحبَّ العرب فبحبي أحبَّهم ، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم» (٢) .

* * *

(١) صحيح مسلم : رقمه (١٧٨٢) .

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ : ١٠٩/١ .

بشارات!!

لدى استعراض أحاديث رسول الله ﷺ ، يجد الباحث أن الله سبحانه
أكرم هذه الأمة ورحمها ، وذلك بأن قرر أنها ستدخل الجنة كلها!!

مصدق ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال
رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لتدخلن الجنة كلكم ، إلا من أبى
وشرد على الله كشرود البعير » .

قالوا : يا رسول الله! ومن يأبى أن يدخل الجنة ؟

فقال : « من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى »^(١) .

وزاد في رواية أخرى : « فمن لم يصدقني فإن الله تعالى يقول : ﴿ لَا
يَصْلَحُهَا إِلَّا الْآثِقُ ﴾ [١٥-١٦] الليل : كَذَّبَ بما جاء به
محمد ﷺ وتولى عنه »^(٢) .

فمن الناس - من هذه الأمة - من يدخل الجنة بالشفاعة ، مصداق ذلك
قول رسول الله ﷺ : « إن الرجل من أمتي ليشفع للفئام^(٣) من الناس ،
فيدخلون الجنة بشفاعته ، وإن الرجل ليشفع للقبيلة من الناس فيدخلون

(١) مجمع الزوائد : ٧٠ / ١٠ .

(٢) مستدرک الحاكم : ٥٦ / ١ ، مجمع الزوائد : ٧١ / ١٠ .

(٣) أي : الجماعة الكثيرة .

الجنة بشفاعته ، وإن الرجل ليشفع للرجل وأهل بيته فيدخلون الجنة بشفاعته» (١) .

وبشارة رسول الله ﷺ : « ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً - أو سبعمئة ألف - متماسكون ، آخذ بعضهم بعضاً ، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ، ووجوههم على صورة القمر ليلة البدر » (٢) .
لذلك يتمنى الكفرة أن يكونوا مع المؤمنين : ﴿ رَبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر : ٢] .

* * *

(١) سنن الترمذي : رقمه (٢٤٤٠) ، مسند أحمد : ٦٣/٣ .

(٢) صحيح مسلم : رقمه (٣٧٣) .

صدق نبوءة رسول الله!!

في طريق الهجرة إلى المدينة المنورة - وقد وضع المشركون جائزة كبيرة لمن يأتي بالنبي ﷺ حياً أو ميتاً - انطلق سراقة بن مالك يبحث عن رسول الله ، ولنستمع إلى حديثه :

... فلما دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها ، فقامت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأضلام فاستقسمت بها أضرمهم أم لا ، فخرج الذي أكره ، فركبت فرسي وعصيت الأضلام ، حتى إذا اقتربت منهما ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين - وتكرر ذلك ثلاثاً - فناشدته الله الأمان ، فتقدمت منهما فقال لي : « أخف عنا » ، ثم نظر إليّ وقال : « كأنني بك يا سراقة تلبس سوارى كسرى » .

فقلت متعجباً : كسرى بن هرمز!!

قال : « نعم »^(١) .

* * *

إنها الثقة المطلقة بالله تعالى .

فهو الرجل الطريد الشريد ، والذي خرج من بلده مكة سراً ، ثم التجأ مع صاحبه أبي بكر الصديق إلى غار ثور ، ومع كل هذا يقول لسراقة : « كأنني بك يا سراقة تلبس سوارى كسرى » .

(١) للتوسع يراجع : صحيح البخاري : ٧٨/٥ ، البداية والنهاية لابن كثير : ٣/ ١٨٥ .

وكسرى وقتئذٍ كان يحكم أعظم إمبراطورية في العالم ، وهي بلاد فارس ، فمن الذي يصل إليه ؟!

ودار الزمن دورته ، فأعلن سراقه بن مالك إسلامه ، ولما كان عهد الفاروق عمر رضي الله عنه ، سقطت دولة الفرس على يد المسلمين ، فحُمِلت الأموال كغنائم من بلاد فارس إلى مدينة رسول الله ، ولما وُضعت أمام الفاروق عمر ، نظر إليها فدمعت عيناه ، ونادى سراقه فألبسه سوارى كسرى وتاجه ، وهكذا تحققت نبوءة سيدنا رسول الله ﷺ .

* * *